الصورة الشعرية

دكتوراه أدب

أسم المادة / دراسات أدبية حديثة

أستاذ المادة

أ.د. غنام محمد خضر

٢٠٢٤ - ٢٠٢٥

((الصورة الشعرية))

تُعدُّ الصورة الشعرية واحدةً من أهم تقنيات الكتابة الشعرية منذ القِدَم، وتأسيسًا على ذلك، فإن مفهوم الصورة الشعرية مفهومٌ إشكاليّ غير مستقر على حال.

لقد حظي مفهوم الصورة الشعرية بدراسات وأبحاث عديدة في النقد الأدبي، ومع ذلك، لا زال قضية نقدية جدلية خلافية؛ فمن الحقائق النقدية في فهم الصورة الشعرية أنها لا قيم ثابتة لها، وإنما تحدد قيمتُها وفقًا لسياقها الفني، الذي تتشكل من خلاله[١]؛ وذلك لأن للصورة دلالات مختلفة، وترابطات متشابكة وطبيعة مرنة مراوغة، عصية على التحديد، فهي تشكيل جماليٌّ متفردٌ، يصعب تعيين ماهيته، أو مهمته، أو عناصره، أو أنماطه في تقسيمات وأبواب[٢]. وإلى ذلك، يكاد أن يكون هناك إجماع على صعوبة تحديد تعريف شامل للصورة الشعرية، بما في هذه الصعوبة خصوصيتها الكامنة في كثير من الاصطلاحات الأدبية[٣].

وعلى ذلك، فإن ما وصل إليه الإنجاز النقدي القديم والحديث ـ في السياقين العربي والغربي ـ ما يمكن وصفه برؤيةٍ نقديةٍ، استوعبت هذا المفهوم ومراحله التطورية، كما استوعبت نموّه المتعدد في سياقاته المختلفة، وهو ما تسعى إليه هذه المقاربة النقدية، في تحليلها لأبعاد هذه الرؤية ومعطياتها اللغوية والاصطلاحية.

الصورة الشعرية في مفهومها اللغوي

يأتي مفهوم الصورة في المعاجم اللغوية العربية، بمعنى الشكل، وحقيقة الشيء وهيئته، ومعنى النوع والصفة، وتمثيل الشيء في الذهن وخياله[٤]. فنرى من خلال ذلك أن الصورة في لغة العرب لها دلالتان: مادية، وذهنية. تقوم المادية على تضمين لفظ الصورة دلالةً على الأشياء الحسية، بميزاتها الحسية المُدركَة بإحدى الحواس الخمس.

أما الدلالة الذهنية، فتقوم على ممكناتٍ دلالية، تُخَصِّبُ اللفظ (صورة) بمعانٍ وإيحاءات مرتبطة بالأشياء الحسية، تمثّل مدلولاتها الذهنية غير المدركة بالحواس. وبذلك فقد اجتمعت الدلالة على الأشياء، بهيئتها الحسية والذهنية، في هذا اللفظ من لغة العرب.

وينحصر المفهوم اللغوي للفظ (صورة)، عند الغربيين، في دلالات خمس، هي[٥]:

١- الدلالة اللغوية المعجمية، وتعني نسخة Copy أو صورة Picture بتمثيل أو محاكاة حرفية موضوع خارجي.

---

١. نظر: إبراهيم الحاوي، "حركة النقد الحديث المعاصر"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص: (٤١)
٢. ينظر: بشرى موسى صالح، "الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث"، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م، ص: (١٠٥،١٩).
٣. إبراهيم أمين الزرزموني، "الصورة الفنية في شعر علي الجارم"، دار قباء، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص: (٩١).
٤. ينظر:
ـ ابن منظور، (محمد بن مكرم)، (٦٣٠ــ ٧١١هـ)، "لسان العرب"، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت، مادة ص.و.ر.
ـ أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، "المصباح المنير"، المكتبة المصرية، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص: (١٨٢).
ـ إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، "المعجم الوسيط"، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٩م، جـ١/ ص: (٥٢٥).
٥. يُنظر: نعيم اليافي، "مقدمة لدراسة الصورة الفنية"، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م، ص: (٤١-٤٦).

2-الدلالة الذهنية، وميدان استعمالها الفلسفة، وتدل على أن الصورة وحدةُ بناءِ الذهن الإنساني، ووسيلته لمعرفة الأشياء.

3- الدلالة النفسية، وتقترب من الدلالة الذهنية، إلّا أنها تقتصر على ناحية نفسية.

4- الدلالة الرمزية، وحقل استعمالها الدراسات الأنثروبولوجيا، والصورة في هذه الدراسات هي القصيدة كلها؛ بوصفها رمزًا يكشف عن أشياء كثيرة متعلقة بذات الفنان المبدعة.

5- الدلالة البلاغية، وتستخدم هذه الدلالة مرادفة للدلالة البلاغية للصورة.

الصورة الشعرية في مفهومها الاصطلاحي

تعددت مفاهيم الصورة من الناحية الاصطلاحية؛ نظرًا لتعدد الحقول المعرفية التي تناولتها الدراسات، كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الجمال، وعلم الأدب.

أما المصطلحان اللذان يدخلان في اهتمام الناقد الأدبي، الذي يدرس الصورة الشعرية، فهما: "(.image imagery) ، اللذان يشتركان في الاشتقاق مع مصطلح (imagination) الخيال، مما يدل على ارتباطهما بالإبداع الأدبي" [١] ويتميز في تاريخ تطور مصطلح الصورة الشعرية مفهومان: المفهوم النقدي القديم، والمفهوم النقدي الحديث.

أ ــ الصورة في الادب العربي

استخدام (الصورة) ثابتٌ في أقدم المراحل التاريخية للفكر اليوناني؛ إذ "ظهر في حواريات أفلاطون كثيرًا، ولكنه أراد به الصور الذهنية للفكر وللأشياء، وهي صورة مجردة مفردة لا ينتابها التغير، أي أنها خالدة، وعالم الحس يهدف إلى محاكاتها" [١].

كذلك، استُخدم التعبير بالصورة في النقد العربي القديم، الذي "اهتم بالصورة الشعرية استجابة لأغراض دينية تتمثل في تبرير الإعجاز القرآني" [٢]، وورد ذكرُه في مصنفاتِ عددٍ من النقاد، مثّلت آراء بعضهم نقلة وإضافة نقدية نوعية، كالجاحظ، وقدامة بن جعفر، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني، وغيرهم.

أشار الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، إلى الصورة من خلال مفهومه للشعر، بقوله: "الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير" [٤]،

١. [١]يدر محمد غيلان، "الصورة الشعرية في النقدين العربي والإنجليزي، دراسة مقارنة لمفاهيمها ومناهج دراستها في العصر الحديث"، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص: (٤٧).
٢. محمد حسن عبد الله، "الصورة والبناء الشعري"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص: (٤٧).
٣. عبد اللطيف ألغجدامي، "الصورة الشعرية: أهميتها ووظيفتها"، مجلة علامات في النقد، إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد: (٧٠)، شعبان ١٤٣٠هـ ـ أغسطس ٢٠٠٩م، ص: (٩).
٤. عمرو بن بحر الجاحظ، "الحيوان"، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، جـ٣/ ص: (١٣٢).

2

فهو هنا يتحدث عن التصوير، وقد توصل إلى أهمية جانب التجسيم وأثره، في إغناء الفكر بصورٍ حسية قابلة للحركة والنمو، فحينما يكون الشعر جنسًا من التصوير يعني هذا: "قدرته على إثارة صورٍ بصرية في ذهن المتلقي، وهي فكرة تُعد المدخل الأول أو المقدمة الأولى للعلاقة بين التصوير والتقديم الحسي للمعنى" [١]

ويرى قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ)، أن المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها فيما أحب وآثر، من غير أن يُحظر عليه معنىً يروم الكلام فيه، كما يرى أن المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة، وعلى الشاعر أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة [٢].

ويتقدم مفهوم قدامة بن جعفر عن مفهوم الجاحظ ــ وإن كان قد تأثر به ــ خطوة جديدة؛ إذ جعل للشعر مادة، وهي المعاني، وصورة، وهي الصياغة اللفظية، والتجويد في الصناعة، فالصورة ــ طبقًا لتحديد قدامة ــ هي: "الوسيلة، أو السبيل لتشكيل المادة وصوغها، شأنها في ذلك شأن غيرها من الصناعات، وهي ــ أيضًا ــ نقلٌ حرفي للمادة الموضوعة، المعنى يحسِّنها ويظهرها حلية تؤكد براعة الصانع [٣]

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، فقد تميز في دراسته للصورة عمن سبقه من النقاد، حينما نظر إليها نظرة متكاملة، لا تقوم على اللفظ وحده أو المعنى وحده، بل على أنهما عنصران مكملان بعضهما، إذ يقول: "واعلم أن قولنا (الصورة) إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة ذاك، وليست العبارة عن ذلك بالصورة شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل في كلام العلماء..." [١]. والجرجاني بذلك، قد استطاع "أن يجمع في نظريته النقدية بين الاتجاهات الرئيسة في تعريف الصورة الشعرية، وأن يمزج بينها بشكل رائع ملغيًا ــ بفكره التحليلي الثاقب ــ ما يبدو من تناقض ظاهري" [٥]

ويذكر حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ) الصورة، في مجال حديثه عن التخييل الشعري، فيقول: "والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شيء آخر بها انفعالًا من غير رؤية إلى جهة من الانبساط أو الانقباض". [٦]

فالشعر عند حازم تخييل، أي تصوير، ووظيفته الأساسية إثارة المخيلة لانفعالات المتلقي، ومن هنا فالصورة ـ عنده ــ "لم تعد تشير إلى مجرد الشكل أو الصياغة فحسب، ولم تعد تحوم حول التقديم

---

١. [1]ابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، المركز الثقافي العربي، ط٣، بيروت، ١٩٩٢، ص: (٢٦٠).
٢. يُنظر: قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص: (٦٥،٦٦).
٣. بشرى موسى صالح، "الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث"، مرجع سابق، ص: (٢٢).
٤. عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ـ القاهرة، ودار المدني ـ جدة، ط٣، ١٩٩٢م، ص: (٥٠٨).
٥. ريتا عوض، "بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس"، دار الآداب، ط١، بيروت، ١٩٩٢م، ص: (٨٨).
٦. حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٩٨٦م،، ص: (٨٩).

الحسي، وإنما أصبحت محددة في دلالة سيكولوجية خاصة، تتصل اتصالًا وثيقًا بكل ما له صلة بالتعبير الحسي في الشعر [١].

ومن خلال الوقوف على ورود الصورة بهذا الشكل عند بعض أصحاب النقد العربي القديم، فإنه بالإمكان الاتفاق مع الدكتور جابر عصفور، على أننا "قد لا نجد المصطلح بهذه الصياغة الحديثة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها، موجودة في التراث، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام[٢].

ب-الصورة في النقد الأوروبي الحديث:

لقد بدأ هذا المصطلح بالظهور في أواخر القرن التاسع عشر، وانتشر بمُسمَّيات عديدة كالصورة الفنيّة، أو التصوير في الشعر، أو الصورة الأدبية، والصورة الشعرية حيث عملت المدارس الأدبية عليها.

وبالتعريج على المدارس الأدبية الحديثة ونظرتها إلى الصورة، يتضح أن المدرسة الكلاسيكية لم تهتم كثيرًا بالصور الشعرية، لأن الكلاسيكيين غالوا كثيرًا في العقلانية، وجعلوا الخيال تحت وصاية العقل[٣]. أما الرومانسية، فقد اهتمت بالصور الشعرية أكثر من الكلاسيكية، واتجه الرومانسيون، إلى الاعتداد بالصور، التي تكشف عن مشاعر الشاعر وخواطره، لاعتبارها مظهرًا من مظاهر الجمال الفني [٤]. وقد كان اهتمام البرناسية بالصورة أكثر من الرومانسية، واختلفت عنها في رفضها مبدأ الذاتية في الصور الشعرية، وتأكيدها على ضرورة موضوعاتها [١] فالبرناسية لا تعترف إلا بالصورة المرئية المجسمة. وأما الرمزية، فهي لا تقف عند حدود الصورة كالبرناسية، لكنها تطلب أن يتجاوزها الفنان إلى أثرها في أعماق النفس أو اللاشعور، وبالتالي ابتدعوا وسائلهم الخاصة في التعبير، كتصوير المسموعات بالمبصرات، والمبصرات بالمشمومات، وهو ما يسمى (بتراسل الحواس).

أما السريالية، فقد اهتمت بالصورة على أساس أنها جوهر الشعر ولبُّه، وجعلت منها فيضاً يتلقَّاه الشاعر نابعًا من لا شعوره. ونظرت الوجودية إلى الصورة على أنها عمل تركيبي يقوم الخيال ببنائها. [٦]

وبذلك، فإن الذي عليه أكثر الدارسين، هو أن الصورة الشعرية ــ بوصفها مصطلحًا نقديًّا حديثًا ــ قد برزت في ظل المذهب الرومانسي، وبالتدقيق، مع نظرية كولردج [٧] في الخيال [٨]، فالصورة عنده نتاج للخيال. [٩]

حصر النقاد الغربيون الصورة في ثلاث دلالات هي:

1– الصورة بوصفها نتاجا لعمل الذهن الإنساني أو (الصورة الذهنية):

---

١. جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، مرجع سابق، ص: (٢٩٨،٢٩٩).
2.نفسه، ص: (٧).
3.يُنظر: عبد اللطيف ألغجدامي، "الصورة الشعرية: أهميتها ووظيفتها" ، مجلة علامات في النقد، مرجع سابق، ص: (١٤).
4.نفسه، ص: (١٥).
5.نفسه، ص: (١٦).
6. يُنظر: محمد غنيمي هلال، "النقد الأدبي الحديث" ، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م، ص: (٤١٦).
7. كولردج، هو: كولردج، صموئيل تايلور (١٧٧٢ ــ ١٨٣٤): شاعر إنكليزي، يعتبر أحد أركان الحركة الرومانسية، وأحد أعمق المنظِّرين الأدبيين في عصره، وأحد عمالقة النقد في تاريخ الأدب الإنكليزي كله. نال شهرة واسعة في عالم الشعر برغم قلة ما نظم وبرغم انصرافه عن الشعر، في مرحلة مبكرة من عمره، ليركِّز على الفلسفة واللاهوت والنقد. ومن أهم آثاره قصيدة "الملَّاح العتيق"١٧٩٨م، وقصيدة "قُبلاي خان"١٨١٦.
8. يُنظر: عبد الواحد لؤلؤة، "موسوعة المصطلح النقدي" ، المؤسسة العربية للدراسات، ط٢، بيروت، ١٩٨٢م، جـ٢/ ص: (٢٤٢).
9. يُنظر: محمد مصطفى بدوي، "كولردج"، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعرفة، القاهرة، د.ت، ص: (١٥٦).

وهذه الدلالة منبثقة من طروحات الدراسات السيكولوجية[1]التي فتح أبوابها (فرويد) بمباحثه عن العقل الباطن متجهة في هذا اتجاها سلوكيا من حيث الاهتمام بالصورة الذهنية كنتيجة لدينامية الذهن الإنساني في تأثيره بالإبداع الفني و يكون التّركيز، في هذه الدلالة، موجّها نحو ما يحدث في ذهن القارئ، أو بعبارة أخرى، نتيجة الاستجابة التي تولّدها الصورة في ذهن المتلقي، وهي محدّدة بالحسّية، تصف العلاقة بين «العبارة المكتوبة في الصفحة، والإحساس الذي تولّده في الذهن، ويتضمّن بحث مشكلتين متوازيتين، تتصل أولهما بوصف القدرات الحسّية لذهن الشاعر، بطريقة موضوعية وتحليلية، وتتصل ثانيتها، بفحص واختيار وربما تحسين قدرة القرّاء على تقدير قيمة الصورة في الشعر، والمنهج المستخدم في ظلّ هذا التعريف منهج (إحصائي)، بمعنى، أن يقرأ الدارس القصيدة التي يحلّلها، ثم يسجّل بطريقة إحصائية وتصنيفية الصور المختلفة التي يمكن أن تثيرها القصيدة في ذهنه».

2– الصورة بوصفها نمطا يجسّد رؤية رمزية أو (الصورة الرامزة):

تشترك هذه الدلالة مع الدلالة السابقة في كونها نتاج مباحث الدراسات النفسية، وهي تهتم بوظيفة الصورة الفنية، «سواء كانت حقيقية أو مجازية، او كليهما معا باعتبارها رموزا تستمد فعاليتها من التداعي السيكولوجي.. وبالتالي، يهتم التحليل بتحديد وظيفة الصور المتكرّرة في القصيدة، باعتبار هذه الصور بمثابة لوازم نغمية، ووسائل بنائية، ورموز، تكشف عن دلالة القصيدة وما تشير إليه، كما يهتمّ التحليل بفحص العلاقة بين أنماط صور الشاعر ككلّ، وبين الأنماط المشابهة لها في الشعائر والأساطير».

والصورة في رحابها تدرس من زاوية كونها تعبيرا رمزيا، فيركز على الأنماط المتكررة التي تدعى بـ(عناقيد الصورة)، وقد توسعت (كارولين سبريجن) [2] بدراستها حول صور شكسبير في هذا المجال، وقيمة الصورة في هذه الدراسات يكمن في كونها تساعد على الكشف على المعاني العميقة التي توحي اليها القصيدة.

3– الصورة بوصفها مجازا أو (الصورة المجازية):

تنطوي، تحت هذه الدلالة، جميع التعابير والأساليب غير الحقيقية، من استعارة ومجاز وكناية، أو الأساليب البلاغية المعروفة.

إنّ ارتباط الصورة الفنية بالجانب الحسّي الذي تقدّمه الرؤية البصرية - كما سبق الإشارة إليه – هو أبسط هذه الدلالات، وأقربها إلى الذّهن، ويعدّ تعريف الناقد والشاعر الإنجليزي (سيسل دي لويس) [3] للصورة الفنية، وأنها «رسم قوامه الكلمات» التعريف الأقرب إلى الدلالة الحرفية لمصطلح الصورة التي تهتمّ بالنمط البصري.

حقاّ، إنّه ليس بالإمكان إهمال الدّور الذي يمثله الجانب الحسّي في مجال مدركاتنا،

كونه من أهمّ وسائل التأثير بالصورة، وتَمْكينها في النّفس، وتقوية جانب المدركات فينا. فالتقديم الحسّي يساعدنا كثيرا على فهم الصورة الفنية، وإظهار مجال الجمال والإبداع فيها، خاصة، فيما ارتبط بتصوير المعنويات أو الأمور المجرّدة التي لا تخضع إلى

المشاهدة ولا تدرك بالمعاينة. وهذا الذي يعتمده الفن والأدب.

بيد أن هذا الأمر ليس حكرا على الفنانين والأدباء وحدهم، بل قد يشمل جميع

١- هو العلم الذي يدرس الوظائف العقلية والسلوك. علماء النفس (السيكولوجيين) يهتمون بدراسة الشخصية، العاطفة، السلوك، الإدراك، والعلاقات بين الأشخاص.

2- كارولين فرانسيس إليانور سبورجون (٢٤ أكتوبر ١٨٦٩، الهند - ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢، توسان، أريزونا) ناقدة أدبية إنجليزية. في عام ١٩١٣، عُيّنت أستاذة كرسي للغة الإنجليزية في جامعة لندن.

3- سيسيل داي (و. ١٩٠٤ – ١٩٧٢ م) هو شاعر، وروائي، وكاتب، وكاتب سيناريو، وأستاذ جامعي، وناقد أدبي، وكاتب للأطفال بريطاني، ولد في مقاطعة ليش، توفي في منطقة إنفيلد، عن عمر يناهز ٦٨ عاماً.

الناس. فالناس في أحاديثهم اليومية، عادة ما يستعينون بهذا التجسيد الحسي في تقريب واقعهم الخارجي، أو تقرير عالمهم الداخلي، قصد توضح حقيقة غير مرئية أو غير مشاهدة.. ويبقى السؤال: هل الصورة الفنية هي نتاج رؤية بصرية دوما؟

إنّ الصورة ليست نتاج رؤية بصرية دائما، إذ إنّ هناك صورا تتكوّن من عناصر تجريدية بحتة، لا علاقة لها بالبصر مطلقًا، ولعلّ هذا ما جعل أغلب النقاد الغربيين المعاصرين يتجاوزون المفهوم البصري للصورة، لأنّ الناس كما قال (أوستن وويليك)[1][2]يختلفون اختلافا شديدا في درجة تبصّرهم، وها هو (عزرا باوند)[3] - منّظر الحركات الشعرية المعاصرة - يتسوّر في تعريفه الذي صاغه للصورة الفنية الدلالة التجسيمية التي اعتنقها أصحاب الاتجاه المادي أو(التصويري) في الشعر، إذ يقول عنها: هي «تلك التي تقدّم عقدة فكرية أو عاطفية في برهة من الزمن». ومن هنا، اكتسبت الصورة الفنية مفهوما جديدا، لتصبح كلاّ متكاملاً، تمتزج فيها المصادر الخارجية من حسّية وموضوعية بالذات الشاعرة.

وثمّة ملاحظة وجب ذكرها هاهنا، ذلك أنّ الدلالة الحسّية التي ارتبطت بالصورة الفنية، جعلت بعض النقاد والدارسين المحدثين والمعاصرين يميلون إلى الأخذ بمصطلح (الاستعارة) بدلا من مصطلح (الصورة)، حيث يقول (جون مدلتون مري) [4] «كلّ ما يقال عن الصورة في الشعر، يمكن أن يصب في الاستعارة».

والظاهر عند هؤلاء النقاد، أنّ مصطلح (استعارة) أعمّ وأشمل من مصطلح (صورة)، هذا الذي لا نجده عند بعضهم الآخر من النقاد والدارسين المحدثين. فـ (كارولين سبرجن) – مثلا – ترى أنّ الصورة مصطلح عام، ينضوي تحته الأسلوب التشبيهي والاستعاري والمجازي بوجه عام. تقول: «إنني أستعمل مصطلح صورة هنا، بحيث يشمل كل من (التشبيه) و (التشبيه المضغوط المركّز)، وأقصد به (الاستعارة). إنّ مصطلح (صورة) يجب أن نفهمه على أنّه يتضمّن كلّ صورة خيالية يعبّر عنها الشاعر، بواسطة انفعاله وتفكيره، سواء أكانت هذه الصورة الخيالية تشبيها، أم استعارة، بما تحمله الكلمات من معنى رحيب، لذ ينبغي أن نبعد عن قولنا الإيحاء الذي يجعل المصطلح معبّرا عن الصورة البصرية فقط.

---

[1] - رينيه ويلك: (١٩٠٣–١٩٩٥): هو كاتب نمساوي من مدرسة براغ البنيويّة في اللغويات.

2- أوستن وارين (١٨٩٩–١٩٨٦): هو ناقد أدبي وصحفي أمريكي اعتبر نفسه ناقدًا قديما مجددًا.

3- عزرا ويستون لوميس باوند شاعر وناقد أمريكي مغترب، اعتبر أحد أهم شخصيات حركة شعر الحداثة في الأدب العالمي في أوائل وأواسط القرن العشرين.

4- جون ميدلتون موري: مواليد ٦ أغسطس ١٨٨٩ – ١٢ مارس ١٩٥٧) مؤلفًا إنجليزيًا. كان كاتبًا منتجًا، ألف أكثر من ٦٠ كتابًا وآلاف المقالات والمراجعات في مجالات الأدب

الصورة في النقد العربي الحديث:

إن مصطلح الصورة بمفهومه الحديث، من المصطلحات التي دخلت إلى النقد العربي الحديث عن طريق الترجمة، وهذا ما يؤكده عددٌ من نقادنا [١]؛ إذ بدأ الاهتمام بالصورة الشعرية في النقد العربي الحديث عند الرومانسيين [٢]، ثم زاد الاهتمام بها واتسع مفهومها إلى حد "أنه أصبح يشمل كل الأدوات التعبيرية مما تَعوَّدنا على دراسته ضمن علم البيان والبديع والمعاني والعَروض والقافية والسَّرد وغيرها من وسائل التعبير الفنِّي" [٣].

وبذلك، لم يعد مفهوم الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ضيِّقًا أو مقصورًا على الجانب البلاغي فقط، بل اتسع، وامتد إلى الجانب الشعوري الوجداني؛ فهي عند عبد القادر القط: "الشكل الفني الذي تتَّخذه الألفاظ والعبارات يَنظِمها الشاعر في سياق بياني خاص ليُعَبِّر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكامنة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني ... والألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يَصُوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية"[٤].وانعكس اتساع مفهوم الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، في رؤى النقاد فيها وتعريفاتهم لها، فمحمد حسن عبد الله يرى بأنها "صورة حسية في كلمات، استعارية إلى درجة ما، في سياقها نغمة خفيضة من العاطفة الإنسانية، ولكنها أيضًا شُحنت ــ منطلقة إلى القارئ ــ عاطفة شعرية خالصة، أو انفعالًا". [٥] وهي عند عبد القادر الرباعي: "ابنة للخيال الشعري الممتاز الذي يتألف ـ عند الشعراء ــ من قوى داخلية تفرق العناصر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها وتركيبها ويصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم...". [١]وعرفها جابر عصفور بأنها "طريقة خاصة من طرق التعبير أو من أوجه الدلالة. تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيًّا كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى ذاته. إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه" [٧].وعلى كلٍّ، فالصورة الشعرية طريقة تعبيرية خاصة، وبناء لغوي موحٍ تتجسد من خلاله رؤية الشاعر، ويتجاوز الأنماط المعروفة إلى أنماط جديدة تستوعب التجربة الشعرية[٨]، فهي "تفاعلٌ بين عمليتين إدراكيةٍ ولُغويةٍ ينتهي إلى تطابقٍ جزئي أو كلي بينهما في النسيج التصويري يسوسه تخيُّلٌ شعريٌّ يشكِّل بُنى لُغويةً، ويسهم في التعبير عن تجربةٍ ذاتيةٍ متميزةٍ"[٩].

---

١. [1]نظر على سبيل المثال:
ـ نصرت عبد الرحمن، "الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث"، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٦م، ص: (٨).
ـ نعيم اليافي، "مقدمة لدراسة الصورة الفنية". منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م، ص: (٤٩).
٢. يُنظر: حيدر غيلان، "الصورة الشعرية في النقدين العربي والإنجليزي، دراسة مقارنة لمفاهيمها ومناهج دراستها في العصر الحديث". مرجع سابق، ص: (٤٩).
٣. الولي محمد، "الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي"، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص: (١٠).
٤. عبد القادر القط، "الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨١م، ص: (٣٩١).
٥. محمد حسن عبد الله، "الصورة والبناء الشعري"، مرجع سابق، ص: (٣٢).
٦. عبد القادر الرباعي، "الصورة الفنية في شعر أبي تمام"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، بيروت، ١٩٩٩م، ص: (١٥).
٧. جابر عصفور، "الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب"، مرجع سابق، ص: (٣٢٣).
٨. يُنظر: أحمد قاسم أسحم، "الصورة في الشعر العربي المعاصر في اليمن ١٩٨٠ــ١٩٩٥"، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة آل البيت ــ كلية الآداب والعلوم، عمّان، ١٩٩٩م، ص: (١).
9.عاطف أبو حمادة، "الصورة الفنية في شعر محمود درويش" ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة صنعاء، ١٩٩٤م، ص: (١١).

كما أنها "تصور حسي في البناء الفكري للناقد أو الأديب يكتشف عن طريق الدلالات اللغوية، والنفسية والفنية. أو تصور ذهني يتم عن طريق التشبيه أو الاستعارة، وظيفتها إحياء كل ما له علاقة بالاستعمال الاستعاري للكلمات المدرجة في النص الأدبي". [١]

ورغم تعدد مفاهيمها في النقد العربي الحديث، فإنها لا تخرج عن كونها طريقة خاصة في الكتابة، يختارها الشاعر وفقًا لقدراته الخيالية والثقافية الخاصة، يكشف من خلالها رؤاه الفكرية والنفسية والفنية.

أهم الفروق بين مفهومي الصورة: القديم، والحديث:

بالنظر إلى الرؤى النقدية المقارنة بين مفهومي الصورة بين القديم والحديث، بالإمكان الوقوف عند أبرز المحاور في هذه الرؤى، من مثل القول:

1- المفهوم القديم للصورة يقف عند حدود الصورة البلاغية: من تشبيه، واستعارة، ومجاز بوجهٍ عام. والمفهوم الحديث يضم إلى هذه الأنواع البلاغية نوعين آخرين، هما: الصورة المستمدة من عمل الحواس الخمس مضاف إليها الصورة الحركية والعضوية، والصورة باعتبارها رمزًا [٢]. والصورة بوصفها بناءً يضم كل صور القصيدة، بتعبير آخر، الصورة بوصفها القصيدة نفسها.

2- الصورة الشعرية في الشعر القديم حسية، أو تزيينيه، أو عقلية، وهي في الشعر الحديث تخضع لتجربة الشاعر؛ فتلعب دورًا أساسيًّا في القصيدة. [٣]

3- الصورة الشعرية في الشعر القديم بسيطة [٤] ، وهي في الغالب عكس ذلك في الشعر الحديث. [٥]

وعلى اتساع الخلاف الدائر حول مفهوم الصورة، قديمًا وحديثًا، وحول سماتها "إلا أن كل الدارسين يجمعون على أهميتها في التعبير الشعري، إذ لا يمكن للشعر أن يحقق وظيفته بدونها" [٦]. وأظن أنه "ليس في الصورة قديم وجديد، وإنما في الصورة أصيل وزائف" [٧]

١- [١] مير سعيد حجازي، "قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر"، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص: (٧٠).

٢- [٢] نظر: عبد الحميد قاوي، "الصورة الشعرية النظرية والتطبيق"، بدون، ص: (٦٨).
٣- يُنظر: حيدر غيلان، "الصورة الشعرية في النقدين العربي والإنجليزي"، مرجع سابق، ص: (٢٠٣).
٤- يُنظر: شفيق البقاعي، "الأنواع الأدبية، مذاهب ومدارس (في الأدب المقارن)"، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٥م، ص: (٣٧).
٥- نفسه، ص: (٤١).
٦- أشرف على دعدور، "الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي"، مكتبة نهضة الشرق، ط١، القاهرة، د.ت، ص: (٨).
٧- محمد حسن عبد الله، "الصورة والبناء الشعري"، مرجع سابق، ص: (٢٣).

** وظائف الصورة الشعرية **

تتعدد المحاور والأبعاد، التي يتم من خلالها التعاطي مع الصورة الشعرية إبداعيًّا ونقديًّا وللارتباط النسيجي بين أهمية الصورة ووظيفتها الفنية والشعرية، فيمكن الوقوف على المسارات الفنية التي تتمحور فيها وظيفة الصورة واهم تلك الوظائف:

١. وظيفة تجسيد التجربة الشعرية:

أولى وظائف الصورة الشعرية، وأهمها، هي وظيفتها الماثلة في تصوير التجربة الشعرية. فالشَّاعر، شأنهُ شأنُ أيِّ فنانٍ، يعيْشُ تجربةً تُولّدُ في نفسِه أفكَارًا وانفعَالات. هذهِ التّجربة بحاجةٍ إلى وسيلةٍ تتجسّدُ فيْها. هِي تقنيةُ الصُّور والتي من خلالها تتبلور التجربة الشعرية.

2.الوظيفة الإيحائية:

تكتنز الصورة ما تحتاج إليه التجربة الشعرية من بُعدٍ إيحائي. ذلك؛ لأن الإيحاء سمةُ الشعر الرئيسة. وبدونها لا يُعدُّ الشعرُ شعرًا؛ لأن "لغة الشعر لغة إيحاءات على النقيض من لغة العلم التي هي لغة تحديدات.

3. وظيفة التزيين والتقبيح:

تشير هذه الوظيفة إلى قدرة الكلام البليغ، على خداع المخاطب وإيهامه، وهو الأمر الذي أشار إليه الجاحظ، في كتابه "الحيوان"، ضمن سياق حديثه عن إشباع الشاعر، للصفة في الحالين: المديح والهجاء، فإشباع الصفة في حال المديح هو التحسين، أما إشباعها في حال الهجاء فهو التقبيح.

4. وظيفة الشرح والتوضيح:

يمثل الشرح والتوضيح الخطوة الأولى في عملية الإقناع، فمن يريد إقناع الآخرين بمعنى من المعاني، عليه أن يشرحه لهم بادئ ذي بدء، ويوضحه توضيحًا يُغري بقبوله والتصديق به.

5. وظيفة السخرية:

السخرية "نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على أساس الانتقاد للرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية، الفردية منها والجمعية وتكمن أهميتها الفنية، في أنها تعمل على تخفيف التوتر الذي يعيشه الإنسان في هذا العصر المليء بالكآبة وأسباب الحزن، فهي تعمل على إراحة النفس.

عناصر ومكونات الصورة الشعرية

تعتمد الصورة الشعرية على ثلاث عناصر أساسية:

1-عنصر اللغة: ونجد هنا ان نسيج الألفاظ في التعبير الشعري يشكل الصورة التي يعبر بها الشاعر عن تجربته، فاللغة هي عماد الصورة الشعرية واحد أبرز مكوناتها حيث تجسد اللغة الشعرية كيان الشاعر وتعبر عن حالاته النفسية التي عاشها، وما زال يعيشها، تجاه قضية معينة، أثارت في نفسه مشاعر معينة.

2-عنصر العاطفة: تعتبر العاطفة هي الروح التي تنفخ في اللفظة والتي تأخذ القالب النفسي الوجداني لحالة الشاعر والعاطفة من العناصر المهمة في الشعر. فالشاعر يجب ان يمتلك عاطفة تتفجر من خلالها صورا شعرية تثير المتلقي وتكشف عن مكنونات القصيدة حتى يستطيع كشف جميع الاشياء ومدى تأثره بها وتأثيرها على الاخرين.

3-عنصر الخيال: وهو الذي يمكن اللغة والعاطفة من تحديد معالم الصورة فيتفاعل معها المتلقي شكلا ومضمونا ولا بدّ من الإشارة إلى أنَّ الصورة الشعريّة مُرتبِطة بالخيال؛ فهي وليدة خيال الشاعر وأفكاره؛ إذ يتيح الخيال للشاعر الدخول خلف الأشياءِ واستخراج أبعاد المعنى؛ لأنَّها طريقته لإخراج ما في قلبه وعقله إلى المحيط الخارجيّ ليشارك فكرته مع المتلقّي؛ لذلك ينبغي أن يكون الشاعر صاحب خيال واسع؛ لكي يتمكّن من تفجير أفكاره وإيصالها إلى المُتلقّي.